﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ٣٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٠﴾ [الرّحمن: 37 - 40]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعد التَّخويفِ والتَّهديدِ بإرسالِ العذابِ، جاء تحديدُ أماراتِ حدوثِه ليَحْذرَ الثَّقلانِ

لمّا كان إرسالُ الشّواظِ والنُّحاسِ ممّا لم تَجْرِ عادةٌ بعمومِه، فقد بيَّن تعالى لهم وقتَه، وهو حينَ يحينُ أمرُه تعالى بانشقاقِ السَّماء؛ لتكون أبوابًا لنزول الملائكة وغيرهم، وحينَ تصيرُ من شدَّةِ الحرِّ كالوردة الحمراء المشرقة من شِدَّة اللهيب، ولمّا كان حفظُ السَّماء عن مثل ذلك بتأخير هذه الأماراتِ، وجعْلِها محلَّ الرّوح والحياة والرِّزق من أعظم الفواضل، فقد بيَّن سبحانه أنَّ هذه النِّعمةَ من أجلِّ نعمه، فكرَّر آيةَ الآلاء؛ لتقرير هذه النِّعمة عند المؤمنين، ولتوبيخ المنكرينَ العاصين، ولمّا كان يوم القيامة ذا ألوانٍ كثيرةٍ ومواقفَ مُهْولةٍ طويلةٍ شهيرةٍ، تكون في كلٍّ منها شؤونٌ عظيمة وأمورٌ كبيرة؛ ذكر بعض ما سبَّبَه هذا الوقتُ من تَعريف العاصي والطّائع بآياتٍ جَعلَها اللّهُ سببًا في علم يوم القيامة، منها: أنَّهُ لا يُسأل أحدٌ من الإنس أو الجنِّ عن ذنوبهم سؤالَ تعرُّفٍ واستعلامٍ، بل سؤالَ تقريعٍ وتوبيخٍ؛ لأنَّه تعالى أعْلَمُ بهم، وسيجازيهم بعلمه، ولمّا كان هذا التَّمييز من أجلِّ النِّعم؛ لئلّا يؤدّي الالتباس إلى ترويع بعض المطيعين؛ نكايةً بالسُّؤال عنه؛ كَرَّر التَّقريرَ والتَّوبيخ[1]، وقد يكون التَّناسبُ هاهُنا على سبيل التَّدرُّجِ، فكأنَّه تعالى ذَكَر أوَّلًا ما يخاف منه الإنسانُ، ثمَّ ذكر ما يخاف منه كلُّ واحدٍ ممَّن له إدراكٌ من الجنِّ والإنسِ والمَلَكِ؛ إذ تخلو أماكنُ الملائكةِ بالشَّقِّ، ومساكنُ الجنِّ والإنس بالخَراب،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 174 - 176.

ويحتمل أن يقال: إنَّه تعالى لمّا قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ إشارةً إلى سكان الأرض؛ قال بعد ذلك: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾؛ بيانًا لحال سكّان السَّماء[1]، والقولانِ يحتملهما النَّصُّ الكريمُ، فلا يبقى في ذلك اليومِ سوى المولى تباركت آلاؤه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَرْدَةً﴾: (ورد) أصلانِ، أحدهما: الموافاةُ إلى الشَّيء، والثّاني: لونٌ من الألوانِ، فالأوَّل: الوِردُ خلافُ الصَّدرِ، ويقال: وَرَدَت الإبلُ الماءَ تَرِدُه وِردًا[2]، والثاني: كُلّ شجرةٍ نَوْرُها، وزَهرُ كلِّ نبتةٍ، والوردُ: لونٌ أحمرُ يَضْربُ إلى صُفْرَةٍ حسنةٍ في كلِّ شيء، والوردُ يتلوَّنُ، فيكونُ في الشِّتاء خلافَ لونِه في الصَّيف[3]، ووَرَّدَ الشَّجرُ: خرج نَوْرُهُ، والوَرْدَةُ: واحِدَةُ الوَرْدِ، وهو زَهْرٌ أحْمَرُ من شَجَرَةٍ دَقيقَةٍ ذاتِ أغْصانٍ شائِكَةٍ، تَظْهَرُ في فصْلِ الرَّبيعِ، وهو مَشْهورٌ[4]، وشُبِّه به لونُ الفرسُ، فقيل: فرسٌ وَرْدٌ، وقال تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾، وصف به السَّماءَ؛ إذا احمَرَّت احمرارًا كالوَرْدِ، أمارةً للقيامة، وأراد أنَّها تتلوَّنُ من الفَزَعِ الأكبرِ، كما تتلوَّن الدِّهان المختلفةُ[5].

2) ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: (دهن) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على لينٍ وسهولةٍ وقِلَّةٍ، من ذلك الدُّهن، والدِّهانُ: ما يُدهَن به، ومنه: الإدهانُ، من المُداهنةِ، وهي المُصانعةُ، داهنتُ الرَّجلَ؛ إذا واربتَه، وأظهرتَ له خلافَ ما تُضمِر له، كأنَّه إذا فعل ذلك؛ فهو يَدْهُنُهُ، ويُسَكِّنُ مِنْهُ[6]، والمعنى المحوريُّ: مائعٌ ذو لُزوجةٍ ما، وأثرٌ قويٌّ ينشأ في مصدره بقِلَّة أو عُسْرٍ، ويُلَيَّن به، ولحال الدُّهنِ: دُهنُ الزَّيتون ودُهنُ البانِ، وما إليهما من حيثُ التَّميُّعُ، أي: عدمُ صلابتِها، وربَّما من حيثُ اللّونُ أيضًا، ووقع التَّشبيهُ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾[7]،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 364.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ورد).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (ورد).
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 261.
(5) الرّاغب، مفردات القرآن: (ورد).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دهن).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (دهن).

وقالوا: الدِّهانُ هاهُنا هوَ دُرْدِيُّ الزَّيْتِ[1]، وهو عُكارة الزَّيت المَغليِّ[2]، والمرادُ: صارتْ حمراءَ ذائبةً كالزَّيْتِ المَغليِّ، أوْ كالجِلْدِ الأحْمَرِ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إذا حانَ يومُ الحسابِ؛ أُلجمتِ الألسنُ، فلله تعالى الحُكم

بيَّنَ النَّظمُ الجليلُ في هذه الآيات حلقةً أُخرى تتعلَّقُ بأحوالِ الآخرة والجزاء، فذكر تعالى ما يطرأُ على العالَمِ من تغيُّرٍ وتبدُّلٍ واختلالٍ لنظام الكونِ، فإذا جاء يومُ القيامةِ؛ انصدعتِ السَّماءُ، وتبدَّدت، وصارت كوردةٍ حمراءَ، وذابتْ كبقيَّة زيتٍ مغليٍّ من الدُّهنِ، أو تلوَّنت كالجِلدِ الأحمرِ، أو تلوَّنت كما تتلوَّنُ الأصباغُ التي يُدَّهَن بها، فتكون تارةً حمراءَ، أو صفراءَ، أو زرقاءَ، أو خضراء، وذلك من شدَّةِ الأمر، وهولِ يوم القيامة، وفي ذلك من الرَّهبةِ والرُّعبِ ما يَزجُرُ السّامع عن الشَّرِّ، وساعَتَئِذٍ يسألهم المولى تعالى: بأيِّ نِعَم اللهِ تُكَذِّبان أيُّها الثَّقلانِ ممّا يكون بعد ذلك؟ ففي هذا اليوم المَهيبِ المُتطاوِلِ الممتدِّ لا يُسألُ أحدٌ من الإنسِ، ولا من الجنِّ عن ذنبٍ؛ لأنَّه تعالى أعلمُ بهم، وسيجازيهم بعِلمه، وفي هذا المقام يمتَنُّ اللهُ على الثَّقلين بالتَّمييزِ بين الطّائعينَ والعاصينَ، فلا يلتبس بعضُ المطيعين بالمجرمين، وفي ذلك حَثٌّ للمؤمنين، وتقريعٌ وتوبيخٌ للعاصينِ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ﴾:

إرسالُ الشّواظِ والنُّحاسِ مقدِّمةٌ لانشقاقِ السَّماءِ

جاءتِ الفاءُ في قولِ اللهِ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾؛ للتَّعقيب على قولِ اللهِ تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾، والفاء هاهُنا تحتمل التَّعقيب الزَّمانيَّ، والتَّعقيب الذِّهنيَّ، والتَّعقيب في القول، أمّا الأوَّل؛ فلأنَّ إرسالَ الشّواظِ عليهم يكون

(1) الرّاغب، مفردات القرآن: (دهن).
(2) الشّعراويّ، خواطر الشّعراويّ: 14/ 8886.
(3) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 7/ 802.
(4) وهبة الزّحيليّ، التّفسير المنير: 27/ 216 - 218.

قبلَ انشقاق السَّماوات، ويكون ذلك الإرسال إشارةً إلى ما يكون عند سَوْق المجرمين إلى المحشر، وأمّا الثّاني؛ فوجهُهُ أن يقال: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾، فيكون ذلك سببًا لكون السَّماءِ تكون حمراءَ؛ إشارةً إلى أنَّ لهيبَها يَصِل إلى السَّماءِ، ويجعلُها كالحديدِ المذاب الأحمرِ. وأمّا الثّالث: فوجهُهُ أن يقال: لمّا قال: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾، أي: في وقت إرسال الشّواظِ عليكما، قال: فإذا انشقت السَّماءُ، وصارت كالمُهْل، وهو الرَّصاصُ الذّائب، كيف تنتصران؟ إشارةً إلى أنَّ الشّواظَ المرسلَ لَهَبٌ واحدٌ، أو فإذا انشقتِ السَّماء، وذابت، وصارت الأرضُ والجَوُّ والسَّماءُ كلُّها نارًا، فكيف تنتصران؟[1].

دلالةُ الشَّرطِ بالأداةِ (إذا):

انشقاقُ السَّماءِ من الأمورِ الأُخرويَّةِ اليقينيَّةِ

آثَرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بأداة الشَّرطِ (إذا)؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ وقوعِ فعلِ الشَّرطِ، وهو انشقاقُ السَّماءِ؛ لأنَّ العادَةَ جاريةٌ باستعمالِ (إذا) للأمرِ المقطوعِ بحصولِه، وللكثير الوقوع، وللأشياءِ المتيقَّنةِ، ولمّا كان انشقاقُ السَّماءِ في يومِ القيامةِ من الأمورِ اليقينيَّةِ؛ فقد جاء التَّعبيرُ بـ(إذا)؛ لإفادَةِ اليقينِ، ولتقرير الأمرِ في الأذهانِ.

الغرضُ من حذفِ جوابِ الشَّرطِ:

انشقاقُ السَّماءِ أمرٌ هائلٌ لا تُطيقهُ العقولُ

ذهب أغلبُ المُعْربينَ إلى أنَّ جوابَ الشَّرطِ في قولِه: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ مقدَّرٌ، أي: فإذا انشقَّتِ السَّماءُ؛ كان ما كان ممّا لا تطيقه العقول، أو وجدتَ أمرًا هائلًا، أو رأيتَ ما يُذهِلُ النّاظرينَ، وهو النّاصب لـ(إذا)، ولهذا كان مفرَّغًا، ومسبَّبًا عمّا قبلَه؛ لأنَّ في إرسال الشّواظ ما هو سببٌ لحدوثِ أمرٍ هائلٍ، أو رؤيته في ذلك الوقت[2].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 364.
(2) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 8/ 135.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ: ﴿ٱنشَقَّتِ﴾ مادَّةً وصيغةً:

في الإنـذار بتشقُّق السَّماءِ ترهيبٌ لمن كانَ له قلبٌ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالفعلِ الماضي، في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ حدوثِ انشقاقِ السَّماءِ يوم القيامةِ، فهو أمرٌ لا مِريةَ فيه، وانشقاقُ السَّماءِ في حقيقته: ذوبانُها وخرابُها، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: 104]؛ إشارةً إلى خرابها، ويحتمل أن يقال: انشقَّت بالغمام، كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: 25]، مثلما ذُكِرَ هاهنا منَ الانفطارِ والخَرابِ[1].

معنى اللّامِ ودَلالتُها في السَّماءِ، والغرض من التَّعريفِ:

في رفع السَّماءِ وانشقاقِها دليلٌ على مطلقِ تصرُّفِ اللهِ تعالى

جاءت كلمةُ ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ معرَّفَةً باللّام الدّالَّة على العهد، فهي السَّماء المعروفةُ للخَلْقِ، وهي المذكورةُ بالرَّفع في قولِه تعالى في أوَّل السّورةِ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾، وفي إعادة ذِكرِها بلامِ التَّعريفِ إشارةٌ إلى أنَّه تعالى كما امتنَّ برفعها في أوَّلِ السّورةِ، قادرٌ على تشقُّقها وانفطارها؛ لتكونَ علامةً على القيامةِ، وهو تعالى في الحالَين القادرُ على رفعها، وهو القادرُ على شقِّها، وفي ذلك دلالةٌ لكلِّ ذي عقلٍ على أنَّ القادرَ على رفعها، هو وحدَه القادرُ على إذابتها وإفنائها.

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَكَانَتۡ﴾:

ثبوتُ الانشقاقِ وتوكيدُ تحوُّلِ السَّماءِ

جاءتِ الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ عاطفةً[2]، وعبَّر بالفعلِ (كانَتْ) دون (هي)؛ للدَّلالةِ على توكيدِ التَّحوُّلِ والتَّغيُّرِ يومَ القيامَةِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالتَّشبيهِ في قولِه: ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾:

في كثافةِ التَّشبيهاتِ وتعدُّدِ جوانبِها ترهيبٌ شديدٌ

النَّظمُ الكريم وصَفَ السَّماءَ عند انشقاقها بوصفين، أحدهما: حُمْرةُ لونِها، والثّاني: أنَّها تذوبُ، وتصيرُ مائعةً كالدُّهن، ففي التَّشبيه عنايةٌ باللَّون والجِرْم، وقد أوضح اللّه تعالى هذا المعنى في غيرِ ما

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 365.
(2) الخطيب ومصلوح والعلوش، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 27/ 205.

موضعٍ، كما في قوله تعالى في المعارج: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المعارج: 6 - 8]، والمُهلُ شيءٌ ذائبٌ على كِلا القولين، سواء أكانَ دُرْديَّ الزَّيتِ، وهو عَكَرُهُ، أو كانَ الذّائب من حديدٍ أو نُحاسٍ أو نحوِهما، وقد يكون المُراد بالتَّشبيه بالوردَةِ أنَّ السَّماءَ تمورُ، وتضطربُ، فتذهب، وتجيء، على معنى الورودِ، وهو الصُّدور عن الشَّيءِ، وله شاهدٌ في كتاب الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطّور: 9]، كما أنَّ هناك من أشارَ إلى أنَّ المُرادَ تشبيهُ السَّماءِ بالوردةِ في كثرة عروقها[1]، وقيل: شَبَّه انشقاقَ السَّماءِ بانشقاق الوَردة؛ إذِ الوردةُ تنشقُّ من أعلاها حين ينفتحُ بُرْعومُها[2]، ومقصودُ التَّشبيهِ التَّهويلُ من القيامةِ، والدَّلالةُ على عِظَمِ شأنِ القدرةِ الإلَهيَّة، وهو تشبيهٌ "قد أُخْرِجَ ما لم تَجْرِ به عادةٌ إلى ما قد جرتْ به، وقد اجتمعا في الحُمْرة، وفي لين الجواهرِ السَّيّالةِ، وفي ذلك دَلالةٌ على عظيم الشَّأن ونفوذِ السُّلطان؛ لتَنصرفَ الهممُ بالأمل إلى ما هناك[3].

بلاغةُ الاعتراضِ بقولِه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾:

تكرارُ التَّقريرِ والتَّوبيخِ بين رُكْنَيِ الشَّرطِ؛ لاستدعاء التَّنبيه

ذهبَ بعضُ المُعْربينَ إلى أنَّ قولَه تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾، هو جوابُ الشَّرطِ في قوله: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾، وعليه فيكونُ قولُه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ جملةً معترضةً بين جملةِ الشَّرطِ وجملةِ الجوابِ، وقد مثَّل بعضُ النُّحاةِ بهذه الآية على الاعتراض بين الشَّرط وجوابه، وعيَّن كونَها معترضةً لا حاليَّةً، وهذه الجملة تكرير للتَّقرير والتَّوبيخ[4].

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 7/ 802، وانظر الأقوال الواردة في معنى التّشبيه في: الماوردي، النّكت والعيون: 5/ 435 - 436، والواحديّ، التّفسير البسيط: 21/ 176، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 231، والزّمخشري، الكشّاف: 4/ 449، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 266، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 168، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 261.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 25/ 30.

(3) الرّمانيّ، النّكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 83.

(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 168، والشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 8/ 135، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 113.

معنى الفاء ودلالتُها في ﴿فَبِأَيِّ﴾:

ذُكرَ انشقاقُ السَّماءِ وجاءَ التَّقريرُ للمؤمنين والتَّوبيخُ للمُكذِّبينَ

جاءَتِ الفاءُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريعِ على ما تقدَّم من الإنعام، بكونِهِ تعالى جعل انشقاقَ السَّماءِ علامةً على يومِ القيامةِ، فكانَ في ذِكرِ انشقاقِها من التَّرهيبِ والتَّخويفِ ما يَصدُّ عن سلوكِ سبيلِ المُكَذِّبينَ؛ أملًا في النَّجاة في هذا اليومِ الشَّديدِ.

بيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾ في هذا الموضعِ:

التَّحذيرُ من انشقاقِ السَّماءِ وما يتبعُه من أهوالِ القيامةِ

اشتملت الآيةُ على تهديدٍ عنيفٍ ووعيدٍ بانشقاقِ السَّماءِ يومَ القيامةِ، ورغم ذلك فقد عقَّبَ النَّظمُ بالآية نفسها؛ وذلك لتقرير المؤمنين ولتوبيخ الكافرين؛ لأنَّ من أنذركَ، وخوَّفَكَ مِن عاقبةِ ما تصيرُ إليه، فقد أنعمَ عليكَ، ألا تراه تعالى قد قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]، وقد علمنا أنَّه بُعِث بشيرًا لمن آمنَ، ونذيرًا لمن كفرَ، فجعلَ الإنذارَ رحمةً، كما جعلَ التَّبشيرَ، ففي الآيةِ إنعامٌ على الخلقِ، حيث أعْلَمَهُم بما كانوا يجهلونَه، وحذَّرَهم بما يصيرون إليه، وقد جعل اللّهُ تعالى التَّحذيرَ رأفةً بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: 30][1].

انشقاقُ السَّماءِ دليلٌ على نعمةِ طلاقةِ القدرةِ وتمام العدلِ

وكذلك فإنَّ مجرَّدَ انشقاقِ السَّماء على أيَّة حال، ولأيَّة غايةٍ، هو وحدَه دليلٌ على قدرة اللّه، وعلى تمكُّن سلطانِه في هذا الوجود، وهو نعمةٌ من أجَلِّ النِّعمِ على المخلوقات؛ إذ كانت قيّوميَّةُ اللّهِ على الوجود ضمانةً وثيقةً للمخلوقات جميعِها بأنَّها في يدِ صانعها، ومُدبِّرِ أمرِها، وأنَّها بهذا لن يُجارَ عليها، ولن تؤخذَ بغيرِ الحكمةِ والعدلِ، ولن تتلقّى غيرَ الفضل والإحسان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنَّ انشقاقَ السَّماء إيذانٌ بالبعثِ، والحسابِ والجزاءِ، وهذا أيضًا

(1) درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 9/ 412.

نعمةٌ من النِّعم الجليلةِ؛ إذ إنَّها أعادت المخلوقات من إنسٍ وجنٍّ إلى الحياة مرَّةً أخرى، بعد أن ردَّها الموتُ إلى حالٍ من العدمِ أو ما يُشبه العدم؛ إذِ الوجودُ هو في ذاته خيرٌ من العدم، على أيَّةِ صورةٍ يكون عليها الموجودُ، وفي أيِّ وضعٍ يأخذه في سلَّم الموجودات[1].

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾:

الفاءُ إمّا أنْ تكونَ عاطفةً أو جوابًا للشرطِ

جاءَتِ الفاءُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ﴾ عاطفةً، وذهبَ بعضهم إلى أنَّ الجملةَ جوابُ شرطِ (إذا)، وأنَّها اقترنتْ بالفاء؛ لأنَّها صُدِّرَتْ باسمِ زَمانٍ، وهو (يَوْمَئِذٍ)؛ وذلك لا يصلح لدخولِ (إذا) عليه[2]، وفيها في الحالتين ترتيبٌ لأحداثِ يومِ القيامةِ وأهوالِه وما ينتظرُ العاصينَ المُكذِّبينَ.

الغرضُ من تقديمِ الظَّرفِ المضافِ ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾:

شدَّةُ الاهتمامِ بالتَّمايُزِ، والمبالغةُ في هولِ يومِ القيامةِ

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ الظَّرفَ المضافَ ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾؛ للاهتمامِ بما يقعُ في هذا اليوم من بعثِ الخلائق للحسابِ، ولما يقع فيه من التَّمايزِ بين المؤمنينَ والعاصينَ، وللمبالغةِ في هولِ هذا اليومِ والتَّخويفِ منه.

الغرضُ من الحذفِ المُعَوَّضِ عنه بالتَّنوينِ في ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾:

التهويلُ من شدَّةِ يومِ القيامة

التَّنوينُ في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ عِوَضٌ عن الجملةِ السّابقةِ، أي: فيَومَ إذِ انشقتِ السَّماءُ[3]، لا يُسألُ عن ذنبِه، هل هو مذنب أو لا؟ وفي هذا الحذف دلالةٌ على شدَّةِ هولِ يوم القيامة، كما يُشير إلى ذهول الرّائي لهم؛ وذلك للتَّمايز بين هيئات المتَّقينَ وهيئاتِ المجرمينَ، كما سيأتي في قولِه تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المبنيِّ للمفعولِ المَنْفيِّ:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بصيغةِ المضارَعةِ، في قولِ اللّهِ تعالى:

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 14/ 686.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 261 - 262.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 10/ 175.

نفيُ تجدُّدِ سؤالِ الاستعلامِ لتوكيدِ عدمِ السؤالِ

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾؛ لبيانِ تجدُّدِ النَّفيِ واستمرارِه، لتوكيدِ النَّفي، فإنَّهم لا يُسألونَ سؤالَ استعلامٍ عن ذنوبهم؛ لأنَّ اللهَ تعالى أعلمُ بما اقترفوه، وبما دوِّن في صحائفهم، والعِلَّةُ في عدمِ السُّؤالِ: أنَّ كلَّ أحدٍ من المجرمين والمتَّقين يخرجون من قبورهم متميّزين عن الطّائفة الأُخرى بسيماهم، وهو سواد وجوه المجرمين وزُرقة عيونهم، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾ [عبس: 38 - 42]، فلا يحتاج حينَئذٍ في تمييز المذنب من غيره والاطِّلاع على حاله لمَن أراد ذلك، إلى أن يُسألَ عن ذَنبِه، ويُعلمَ حالُه من جهته[1]، فالمرادُ نفيُ السُّؤال الذي يريد به السّائلُ معرفةَ حصول الأمر المُتردَّد فيه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٧٨﴾ [القصص: 78]، وهو لا ينافي أن يُسأل سؤالَ توبيخ، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: 92]، فإنَّ ذلك للتَّقرير والتَّوبيخ، فإنَّ يومَ القيامة متَّسعُ الزَّمان، ففيه مَواطِنُ لا يُسأل فيها أهلُ الذُّنوب عن ذنوبهم، وفيه مواطنُ يُسألون فيها سؤالَ تقريرٍ وتوبيخٍ[2]، وبَنَى الفعلَ للمفعول تعظيمًا للأمر، بالإشارةِ إلى أنَّ شأنَ المُعترِفِ بالذَّنب لا يكون خاصًّا بعهد دون عهدٍ، بل يعرفُه كلُّ من أراد علمَه[3].

الغرضُ من تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

السُّؤالُ عن الذُّنوبِ هو محطُّ العنايةِ

قدَّمَ النَّظمُ الحكيمُ الجارَّ والمجرورَ ﴿عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾؛ اهتمامًا بالمسؤول عنهُ، وهو الذُّنوبُ؛ إذ مَحَطُّ العنايةِ في الآيةِ يدورُ حولَ أمرينِ، **الأوَّلُ:** هو التَّوقيتُ، وهو يومُ القيامةِ. **والآخَرُ:** هو ما نُصبَتِ

(1) محيي الدّين زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/ 67.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 262.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 175.

القيامةُ من أجلِه، وهو محاسبةُ العبادِ على ما قدَّموهُ في حياتهم الدُّنيا، ولمّا كان فضلُ اللهِ وكرمُه واسعًا في المكافأة على الأعمالِ الصّالحةِ، فقد خصَّتِ الآيةُ الذَّنبَ بالذِّكرِ للتَّرهيبِ والتخويفِ.

الغرض من الإضافةِ في ﴿ذَنۢبِهِۦٓ﴾:

الذنوبُ مختصَّةٌ بأصحابها، فلا مجال للإنكارِ أو المكابرةِ

أضافَ النَّظمُ الجليلُ الذنبَ إلى ضمير الغائبِ العائدِ على كلِّ إنسيٍّ وجنيٍّ؛ للدَّلالةِ على اختصاصِ كلِّ واحدٍ منهم بما اقترفَ، فلا مجالَ للإنكارِ ولا للمكابرةِ، فهو كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ [المجادلة: 6].

دلالةُ إفرادِ الضَّميرِ في ﴿ذَنۢبِهِۦٓ﴾:

من معاني إفرادِ الضَّميرِ أنَّ اللهَ وحده هو المسؤول

أفرد النَّظمُ لفظَ ﴿ذَنۢبِهِۦٓ﴾ باعتبار اللَّفظ، وقيل: لأنَّ المرادَ فردٌ من الإنس، كأنَّه قيل: لا يُسأل عن ذنبه إنسيٌّ ولا جنّيٌّ[1]، ويحتمل أنْ يكونَ توحيدُ الضَّميرِ لكونه في معنى (البعض)، فهذا إضمار عن غير مذكور، والذَّنب يدلُّ على المُذنبِ، فلا يُسأل عن ذنب المُذنب إنسٌ ولا جانٌّ، أي: لا يُؤخَذ أحدٌ بذنبِ غيرِه، وقيل: لا يُسأل أحدٌ عن ذنب أحدٍ، والظّاهر أنَّ التَّقديرَ: (لا يُسألُ إنسٌ ولا جانٌّ عن ذنبِ أحد منهما)؛ لأنَّ المرادَ البعضُ المُجرمُ منهم خاصَّةً، ويدلُّ عليه الاستئناف بقوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾[2].

وكذلك يمكنُ أن يكونَ التقديرُ: لا يُسأل إنسٌ ذنبَهُ ولا جانٌّ، ويكونُ الضَّميرُ عائدًا إلى المضمر لفظًا لا معنًى، كما تقول: (قَتَلوا أنفسَهم)، فالضَّمير في أنفسهم عائدٌ إلى ما في قولك: (قتلوا) لفظًا لا معنًى؛ لأنَّ ما في (قتلوا) ضميرَ الفاعل، وفي (أنفسهم) ضمير المفعول؛ إذِ الواحد لا يقتل نفسه، وإنَّما المرادُ: أنَّ كلَّ واحدٍ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 113.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 168 - 169.

قَتَلَ واحدًا غيرَه، فكذلك كلُّ إنسٍ لا يُسأل عن ذنبه، أي: ذنبِ إنسٍ غيره، ومعنى الكلام: لا يقال لأحد: اُعْفُ عن فلانٍ؛ لبيان أن لا مسؤول في ذلك الوقت من الإنس والجِنِّ، وإنَّما كلُّهم سائلون اللّهَ، واللّهُ تعالى حينَئِذٍ هو المسؤول[1].

الغَرضُ من تنكيرِ نائبِ الفاعلِ ﴿إِنسٌ﴾:

جاء لفظُ ﴿إِنسٌ﴾ نكرةً لإفادةِ العمومِ والشُّمولِ، فلا يُسألُ أيُّ إنْسيٍّ كانَ عن ذنبهِ سؤالَ استعلامٍ، بل كلُّ ما فعلوه مسطورٌ بأيدي الحفظَةِ، معلومٌ لدى اللّهِ العليمِ الخبير، فلا مجال للهرب من المساءلةِ أو التَّنصُّلِ من الذُّنوبِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى شمولِ علمه تعالى لكلِّ الخَلقِ، فلا يَعْزُبُ عن علمه مثقالُ ذرَّةٍ في السَّماوات ولا في الأرضِ.

النَّكرةُ لإفادةِ عمومِ نفي سؤالِ الاستعلامِ لإحاطةِ عِلمِ اللهِ

دلالةُ العَطفِ في ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ مع بيانِ الغرضِ من التَّنكيرِ:

عطفَ النَّظمُ الجليلُ على كلمة ﴿إِنسٌ﴾ بقولِه: ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾؛ لتوكيدِ عمومِ انتفاءِ السُّؤالِ عن الجِنِّ أيضًا، وذلك لأنَّ مبنى السّورةِ على توجيه الخطابِ للثَّقلين: الإنسِ والجنِّ، وكذلك حتَّى لا يقع في وهم أحدٍ من النّاسِ أنَّ في مقدورِ الجِنِّ بما مُنِحوا من القدرةِ الهروبَ من ذنوبهم، وفي الآية إشارةٌ إلى أنَّ الجِنَّ يُبعثون، ويُحاسبون، كما يُبعَث النّاسُ، ويُحاسبون[2].

تأكيدُ عمومِ انتفاءِ السُّؤالِ عن الخَلقِ أجمعينَ إنسِهم وجنِّهم

معنَى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَبِأَيِّ﴾:

جاءَتِ الفاءُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريعِ على ما تقدَّم من الإنعام، بكونِه تعالى هو المحيطُ بما عملهُ الإنسُ والجِنُّ، وفيه من التَّرهيبِ والتَّخويفِ ما يَصدُّ عن سلوكِ سبيل المُكَذِّبينَ؛ أملًا في النَّجاة في هذا اليومِ الشَّديدِ.

بعد انتفاء سؤال الاستعلامِ، جاءَ التَّقريرُ، والتَّوبيخُ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 266.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 14/ 687.

بيانُ المرادِ بـ﴿ءَالَآءِ﴾ في هذا الموضعِ:

الإنـذارُ الشَّديدُ في الدُّنيا بما يقعُ في الآخـرةِ مِنَّةٌ كبرى

اشتملت الآيةُ على تهديدٍ عنيفٍ ووعيدٍ بانتفاءِ سؤالِ الاستعلام؛ لإحاطةِ اللّهِ بأعمال الخَلقِ أجمعينَ، ورغم ذلك فقد عقَّبَ النَّظمُ بالآية نفسها، وذلك لتقرير المؤمنين ولتوبيخ الكافرين؛ لأنَّ من أنذركَ، وخوَّفَكَ من عاقبةِ ما تصيرُ إليه، فقد أنعمَ عليكَ، ألا تراه تعالى قد قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]، وقد علِمنا أنَّه بُعِث بشيرًا لمن آمنَ، ونذيرًا لمن كفرَ، فجعلَ الإنذارَ رحمةً، كما جعلَ التَّبشيرَ، ففي الآيةِ إنعامٌ على الخلقِ؛ إذ أعْلَمَهُم بما كانوا يجهلونَه، وحذَّرَهم بما يصيرون إليه، وقد جعل اللّهُ تعالى التَّحذيرَ رأفةً بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ [آل عمران: 30][1]، فكان في نظم الآية تذكير بما أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم، ومن هذا التَّخويف والإنذار المسبق؛ ليرتدعَ النّاسُ عن الذُّنوب، ويَثوبوا إلى رُشْدِهم[2].

(1) درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 9/ 412.

(2) وهبة الزّحيليّ، التّفسير المنير: 27/ 219.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59 : المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-648-68-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"